المحاضرة الثانية: نشأة التفسير الموضوعي وتطوره وأهم المؤلفات فيه قديما وحديثا.

التفسير الموضوعي من الاصطلاحات الحادثة التي ظهرت في القرن الرابع عشر على نوع من أنواع التفسير الذي تعود لبناته إلى زمن التنزيل؛ ويمكن بيان المراحل التي مر بها حتى نضج في العصر الحالي كالآتي:

1:عصر النبوة.تعود لبنات التفسير الموضوعي الأولى إلى عصر النبوة، وكان ذلك عن طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة.

يقول مصطفى مسلم:" لم يظهر هذا المصطلح "**التفسير الموضوعي**" إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لَبِنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، كان معروفًا في الصدر الأول"[1].

أ: **في القرآن الكريم** آيات لا يدرك معناها ومقصودها إلا بالنظر في آيات أخر تحيل عليها الآيات ذاتها من ذلك قوله تعالى: (**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**).(الأنعام- الآية:118).في هذه الآية إجمال يفصله قوله تعالى في آية أخرى نزلت قبلها : (**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**).(الأنعام- الآية:146).

ب: من السنة النبوية

من أمثلة ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **لما نزلت هذه الآية: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (الأنعام: 82) شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما**

[1] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – ص:17.

قال العبد الصالح: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم) (لقمان: 13) ، إنما هو الشرك" [2].

فالصحابة رضوان الله عنهم لما أشكل عليهم فهم آية الأنعام وسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحالهم على آية لقمان الموضحة لمقصودها ومفهومها؛ وهذا فيه إشارة واضحة لأهمية النظر الموضوعي في الآيات الكريمة.[3]

إن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا إنما هو تفسير القرآن بالقرآن وهو بذرة أولية للتفسير الموضوعي.

2: عصر الصحابة والتابعين.

إن جمع الآيات ذات الموضوع الواحد للدلالة على المعنى المراد وإزالة ما قد يوهم ظاهره التعارض كان صنيع الرعيل الأول من الصحابة والتابعين.

فبعد أن بدأ الإسلام يتوسع وازداد دخول الناس إليه أفواجا، جَدَّت مسائل وقضايا لم تطرح من قبل، واحتاج الناس إلى موقف الشرع منها، مما دفع بالعلماء إلى تأصيل المسائل وتحقيق الشرائع والأحكام ومن ذلك جمع الآيات المتماثلة وموازنتها لاستخراج الأحكام منها.[4]

3: عصر أئمة المذاهب الفقهية.[5]

عني فقهاؤنا رحمهم الله بجمع الآيات ذات الموضوع الفقهي الواحد في مدوناتهم الفقهية، سواء ما تعلق ذلك بالعبادات أو المعاملات، وهذا الصنيع عين التفسير الموضوعي وإن كان في بداياته الأولى.

يقول مصطفى مسلم:" وقد جمع الفقهاء هذه الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت

---

[2] أخرجه البخاري – كتاب : التفسير – باب: قوله تعالى:(ولقد آتينا لقمان الحكمة)- رقم الحديث: 3429 – ص:468.

[3] ينظر التفسير الموضوعي دراسة نظرية وتطبيقية – منصور كافي – الخلدونية للنشر والتوزيع – الجزائر – ط.1 – 1425هـ -2004م – ص:46.

[4] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:30.

[5] ينظر التفسير الموضوعي دراسة نظرية وتطبيقية – منصور كافي – ص:53.

كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات وجوبًا ومصارف وأنواع المال التي تخرج الصدقة منها تحت كتاب الزكاة، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض والسير، وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى"[6].

4: عصر التأليف والتدوين في علوم القرآن وأهم المؤلفات في ذلك.

ظهرت بعض المؤلفات الخاصة بمباحث في علوم القرآن، تجمع في ثناياها آيات قرآنية متعلقة بمجال محدد كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني والأشباه والنظائر... يمكن أن نذكر منها ما يأتي:

أ: في القرن الثاني والثالث هجري. ألف قتادة السدوسي (113 هـ)كتابا في الناسخ والمنسوخ ، وألف مقاتل بن سليمان (150 هـ)كتابا في الوجوه والنظائر، وألف أبو عبيد القاسم بن سلام (224 هـ) فضائل القرآن...[7]

ب: في القرن الرابع والخامس هجري.

ألف أبو بكر السجستاني (330هـ) كتابا بعنوان غريب القرآن، وأبو بكر الجصّاص الحنفي (370هـ) أحكام القرآن)، وألف الماوردي (450هـ) أمثال القرآن.[8]

ج: في القرن السادس والسابع هجري.

ألف الراغب الأصفهاني (502هـ) كتابا سماه مفردات ألفاظ القرآن، وألف أبو بكر بن العربي (543هـ) أحكام القرآن، وألَّف العز بن عبد السلام (660هـ) كتابا سماه مجاز القرآن .[9]

د: في القرن الثامن والتاسع هجري.

ألف ابن القيم كتابين سماهما أقسام القرآن وأمثال القرآن، وألف الفيروز آبادي (817هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ ثم توالت التآليف بعد ذلك في علوم القرآن.

---

[6] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – ص:18.

[7] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:26 و المحرر في علوم القرآن – مساعد بن سليمان الطيار – دار ابن الجوزي – ط.1 – 1427هـ - 2006م – ص: 33 وما بعدها.

[8] ينظر: التفسير الموضوعي دراسة نظرية وتطبيقية – منصور كافي – ص:54.

[9] ينظر:التفسير الموضوعي – بلعلياء محمد – جامعة تلمسان – 2014 - 2015م – ص: 19.

إن هذا الزخم من التآليف في باب علوم القرآن كان دافع الانطلاق وزاد المسير في التأليف المعاصر للتفسير الموضوعي بثوبه الحديث.